دير القدِّيس أنبا مقار
الآباء رُهبان الدَّير
ديسمبر سنة ٢٠١٤م

أوَّلاً: الأساسيَّات في عمل الأبحاث العلميَّة[١]

(١) الاستعداد لعمل البحث

- يحدِّد الباحث دائرة مطالعته، من غير أن يتناسى الدَّوائر الأُخرى. واختيار موضوع البحث، هو أصعب مرحلة تعترض الباحث، والتي قد تطول إلى بضعة شهور أحياناً.
- البحث في الكُتُب الأمهات في المجال الذي اختاره الباحث، وعليه أن ينتقي هذه الكُتُب بعناية. فأُمَّهات الكُتُب، هي التي تقود إلى الفروع الجيِّدة. أمَّا إذا بدأ الباحث بالفروع، فإنه يبتعد كثيراً عن الأصول. وعلى سبيل المثال، فإنَّ المعاجم القديمة، هي الأصل والنَّبع، لأنها نقلت عن الأصول.
- عند قراءة أيِّ كتاب، يلزم الباحث التَّدقيق في حواشي الكتاب، لأنها أحياناً تكون أهم من المتن.
- الباحث الجيِّد هو الذي يعرف كيف يقرأ، وماذا يقرأ، ومتى يقرأ، ومتى ينغمس في المطالعة، ومتى يعبر على القراءة عبوراً سطحياً.
- قبل الشُّروع في البحث، يجب أن يتأكَّد الباحث أنَّ غيره لم يسبقه إليه، سواء كان في مصر أو خارجها.
- البحث والدِّراسة عمل مضني، ويحتاج إلى صبر كثير، ومثابرة طويلة. فيمكن للباحث أن يقضي ليلة بكاملها يبحث عن معنى كلمة واحدة، أو مرجع تائه. وكلُّ عمل ناجح هو وليد ألم ومعاناة.
- لا يمكن الاعتماد على اللُّغة العربيَّة وحدها، لعمل بحث عميق، وإنما يلزم إثرائه بإحدى اللُّغات الأجنبيَّة على الأقل، والخاصة بالفرع الذي يريد الباحث البحث فيه، مثل كُتُب المستشرقين، أو الدَّوريات العلميَّة الرَّصينة.
- استخدام المكتبة فنٌّ من الفنون المهمَّة. ولكلِّ مكتبة تعليمات تختلف بها عن غيرها. وعند الشُّروع في عمل أيِّ بحث، يلزم أولاً تخزين كمٍّ كبير من أسماء المراجع التي تخدم هذا البحث، ومعرفة أماكن وجودها في المكتبات المختلفة.
- لا يجوز البدء في كتابة البحث قبل استنفاذ المصادر والمراجع اللاَّزمة له. وكثرة المراجع في البحث تزيده ثقلاً علمياً.
- العناية بتخزين المعلومات، سواء على الكومبيوتر، أو باستخدام البطاقات، والتي كان العرب يدعونها الدُّروج. ويلزم أن يختار الباحث بنفسه مقاس هذه البطاقات، ويوحده، لأنها مفيدة له في أبحاثه على مدى سنوات عمره.
- يُدوِّن الباحث في أعلى البطاقة – وبلون مختلف – اسم المؤلِّف، واسم المرجع، وسنة النَّشر، ورقم الصَّفحة. وهذه نقطة هامة، بدونها يصبح المكتوب في البطاقة بغير ذي قيمة. ولا تجوز الكتابة على ظهر البطاقة. وحين لا تكفي بطاقة واحدة لتسجيل ما يرغبه الباحث، عليه إعادة كتابة اسم المؤلِّف واسم المرجع وسنة النَّشر، ورقم الصفحة مرَّة أُخرى.

---

١ – استعنت بالمرجع التَّالي كأحد المراجع الأساسيَّة، إلى جانب مراجع أُخرى.
الدُّكتور محمَّد التونجي، الأستاذ بجامعة حلب، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، دار الملاَّح للطِّباعة والنَّشر، الطَّبعة الأولى ١٩٨٦م.
والدُّكتور محمَّد التونجي، من مواليد حلب سنة ١٩٣٣م، وتخرج في جامعة دمشق. ونال الدكتوراه في الأدب الفارسي من طهران، وأُخرى من الجامعة اليسوعية. وهو يدرس حاليًّا في جامعة الشهباء الخاصة بحلب. وله معجم فارسي عربي، ونشره ببيروت سنة ١٩٦٩م. وقد رتَّبه حسب الحرف الأوَّل من الكلمة، ووفقاً لحروف الهجاء الفارسيَّة.

- تُفرز البطاقات ذات الموضوع الواحد مع بعضها البعض. وتوضع في صناديق صغيرة. وكان العالم الآبائي الفرنسي **دكتور موريس جيرار** Maurice Geerard يستخدم هذه الطَّريقة، وهو الذي ألَّف كتابه ''فهرس كتابات الآباء اليونان – *Clavis patrum graecorum*, ed. Maurice Geerard, 1-6, Brepols-Turnhout, 1974 - 1998. '' في ستَّة مجلدات بدءًا من سنة ١٩٧٤م إلى سنة ١٩٩٨م. ويعدُّ مؤلَّفه من أدق الفهارس الآبائيَّة. حيث حفظ مادته في بطاقات يضعها في صناديق للأحذية. ولقد أصبح الكومبيوتر الآن هو الوسيلة الأسهل لحفظ المعلومات.
- البطاقة الواحدة يُسجَّل عليها موضوعٌ واحد، ومرجعٌ واحد.
- إذا احتاج الباحث إلى نقل معلومات كثيرة، يمكن نقل بدايتها فقط، على اعتبار أنه قد سجَّل المرجع كاملاً.

(٢) تدوين البحث

- البحث الجيِّد يناقش موضوعاً محدَّداً واضحاً.
- عند البحث عن موضوع ما، يلزم التَّجرد منتهى التَّجرد، لتكون النَّتيجة النِّهائيَّة للبحث بعيدة عن الهوى الشَّخصي.
- إنَّ إتقان اللُّغة العربيَّة كتابة ونحواً، هو أمرٌ مهمٌّ للغاية. وأيضاً كيفيَّة استخدام الفاصلة، والفاصلة المنقوطة، والنقطة، وعلامة الاستفهام، وعلامة التَّعجب، ووضع الاقتباس بين علامتين ... الخ. ولكن في المقابل، من المهم أن نعرف أنَّ الإكثار من علامات التَّرقيم، يشوِّه البحث ويُضعف المعنى.
- يلزم أن يُقسَّم البحث إلى أبواب وفصول وعناوين رئيسيَّة، وعناوين فرعيَّة.
- من أهم صفات الباحث، الأمانة، حيث ينسب أيَّ عمل لصاحبه. والأمانة تتبع الصَّبر.
- الاستعانة بأيِّ مرجع من المراجع، يلزم أن يتبع التَّرتيب الآتي، اسم المؤلِّف، اسم الكتاب، مكان صدور الكتاب، تاريخ النَّشر، رقم الطَّبعة، رقم الصَّفحة.
- التَّدقيق في ذكر الأسماء والأرقام والتَّواريخ وما أشبه، أمر مهم في البحث.
- التَّواريخ المشهورة هي الميلاديَّة والقبطيَّة والهجريَّة. ويلزم أن يتوفَّر لدى الباحث آليَّة تساعده على العثور على المقابل التَّاريخي لأيِّ تاريخ معروف لديه من هذه التَّواريخ الثَّلاث السَّابق ذكرها.
- لا يستخدم الباحث اختصارات في بحثه، لم يرد عنها بياناً واضحاً في مستهل بحثه.
- الجرأة في عرض الآراء وإن كانت لا تناسب آراء النَّاس أحياناً، مع ضرورة إيضاح البراهين. وفي ذات الوقت، يلزم الاعتدال في الأحكام، والأدب الجم في مناقشة آراء الغير.
- استبعاد الأحكام الجازمة على الأمور.
- على الباحث أن يتجنب التَّكلُّف في صياغة العبارة، والتَّصنُّع في أدائها.
- من العيوب الكبار، أن يسرق الباحث أحد الأفكار ويسوغها بأسلوبه الخاص، كأنها من عنده. وهو ما يسمى ''انتحالاً'' Plagiarism وهو ما وصفه أحد المتخصِّصين بالبحث بقوله ''التَّظاهر الخادع بالتَّأليف''.
- عند انزلاق الباحث إلى خطأ وقع فيه، يلزم أن يعترف بذلك اعترافاً واضحاً.
- يلزم أن يضع الباحث ما ينقله عن غيره، بين قوسَين، مع ذكر المرجع واضحاً، لكي يكون الفَصل واضحاً بين ما ينقله عن غيره، وما يذكره هو بنفسه. وعند الاقتباس لا يكتفي بنصف الجُملة إن كان نصفُها الآخر يشرحها.
- النَّقل عن الرَّاديو أو التِّليفزيون أو الإنترنت، لا يُعتد به كمرجع موثَّق. وإن كان ما ينقله هو برنامج علمي مثلاً، فيلزم أن

يسجِّل في الحاشية اسم البرنامج، وتاريخه، واسم المتحدِّث، شريطة أن يكون المتحدِّث من أهل العلم والبحث.

- عند ضرورة تكرار الفكرة، يستحسن أن يشير الباحث إليها في موضعها السَّابق من البحث، لكي لا يتوه القارئ.
- يفضَّل أن يستخدم الباحث الضَّمير المفرد عند الحديث، وليس ضمير الجمع. واستبعاد الآراء الفردية في التَّعبير مثل: ''أرى، أميل''، واستبدالها بتعبيرات: ''لعل، ربما، يبدو، من المعتقد ... الخ''.
- بعد انتهاء البحث، يلزم قراءته كاملاً للتَّأكد من تتابع الجُمَل، وسلامة اللُّغة، ووضع الشَّواهد في مواضعها. وإن لزم، إسقاط العبارات قليلة الأهميَّة، ليكون بناء البحث بناءً محكماً.
- عند كتابة الحواشي، يلزم أن يُراعى أنَّ الخط الذي تُكتب به أسماء المراجع، يكون صغيراً، بينما الحواشي التي تشرح أمراً جوهرياً لا يريد الباحث وضعه في المتن، يلزم أن تُكتب بخط أكبر قليلاً.
- مقدِّمة البحث تُكتب بعد الفراغ من البحث نفسه. وفي المقدِّمة، نعرف باختصار ما يرد في البحث، والنَّتائج التي توصل إليها في بحثه.
- الفهرس الذي يضعه الباحث لبحثه، هو من أهم عناصر البحث. ويحتاج إلى صبر وطول أناة.
- لا يجوز مطلقاً ذكر مصدر أو مرجع في الفهارس الأخيرة في الكتاب، إذا لم يرد ذكره في إحدى الحواشي.
- عند ذكر اسم مخطوطة من المخطوطات، يلزم ذكر رقمها، والمكتبة التي تحتفظ بها، وتاريخ نساختها، وعدد ورقاتها.
- البحث خبرة تراكمية، تزيدها الأيام عمقاً ورصانة وإتقاناً.

ثانياً: الأساسيَّات في علم تحقيق المخطوطات

(١) نبذة تاريخيَّة

- تحقيق المخطوطات هو فنٌّ من الفنون العلميَّة الحديثة، ممَّا لم يكن معروفاً للعُلماء في الشَّرق، قبل قرن من الزَّمان. فللمستشرقين السَّبق في هذا المضمار، حيث باشر العُلماء الغربيُّون إحياء التُّراث الإغريقي واللاَّتيني في القرن الخامس عشر الميلادي، وهو العلم الذي صار يعرف باسم ''علم نقد النُّصوص – Text Criticism''.
- في غضون القرن السَّابع عشر الميلادي، وفد إلى الشَّرق مستشرقون جمعوا كماً ضخماً من المخطوطات، ومن بينها طبعاً مخطوطات الكنيسة القبطيَّة، ونقلوها إلى مكتبات أوربا وأمريكا. فيذكر **لوكينسيس** Lochiensis لأحد هواة جمع الكُتُب بباريس ويُدعى اسمه **بيرسك** Peiresc في سنة ١٦٣٣م، إثر عودته من زيارة لمصر، أنه وجد كُتُباً نادرة في كثير من الأديرة، وبالأخص في أحد الأديرة (يُظنُّ أنه دير السِّريان) وجد به ثمانية آلاف مخطوط ترجع إلى العصر الأنطوني[٢].

٢- ومن بين الذين وفدوا إلى مصر ونقلوا مخطوطاتها القبطيَّة، **فاندوم** Vendome سنة ١٦٣٤م. **هنتجتون** Huntington سنة ١٦٨٢-١٦٨٣م. **إلياس السَّمعاني** E. Assemani أمين مكتبة الفاتيكان، حيث زار وادي النَّطرون سنة ١٧٠٧م. **يوسف السَّمعاني** ابن عمِّه سنة ١٧١٥م، وقد كان ملماً بجميع اللُّغات الشَّرقيَّة القديمة، ومن بينها اللُّغة القبطيَّة، وبأكثر اللُّغات الحديثة الشَّرقيَّة والغربيَّة، أوفده البابا كليمندس الحادي عشر إلى الشَّرق ليشتري ويجمع المخطوطات، فزار مصر وسوريا ولبنان، ورجع إلى روما مزوَّداً بمجموعة نفيسة من المخطوطات الشَّرقيَّة المتنوِّعة، ولاسيَّما من مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار بوادي النَّطرون بمصر، وكان قد حصل على ثلاثة أو أربعة مخطوطات من دير القدِّيس أنبا أنطونيوس بالصَّحراء الشَّرقيَّة أيضاً. وفي هذا يقول قولته المشهورة: ''من هؤلاء الرُّهبان حصُلنا على مخطوطات على أعظم جانب من الأهميَّة، مكتوبة باللُّغة القبطيَّة ... ولم يكن لديهم بعد ذلك ما يستحق الالتفات، حتى من أكثر النَّاس جشعاً!!!''. **دروفتي** B. Drovetti سنة ١٨١٨م. **كرزون** Curzon سنة ١٨٣٧م. في سنة ١٨٣٩م حضر **تاتام** Tattam وحصل على جانب كبير من المخطوطات ذات الأهميَّة، وقد آلت كلُّها إلى مكتبة جون رايلندز John Rylands بمنشستر بإنجلترا. حضر العالم الألماني **تيشندورف** Tischendorf إلى مصر سنة ١٨٤٤م ومرَّ على جميع الأديرة،

- ولكثرة مخطوطاتنا القبطيَّة التي آلت إلى المكتبات العامة والجامعات بالخارج، تخصَّص عُلماء كثيرون في جهات متفرِّقة من العالم لفهرست هذه المخطوطات أو دراستها وتحقيقها. ومن بين هؤلاء العلماء: **كـــرام** Crum – **أميلينـــو** Amelineau – **إيفلـــين هوايت** Evelyn White – **تيشندورف** Tischendorf (١٨١٥-١٨٧٤م) مكتشف المخطوطة السِّينائيَّة– **ورل** Worrel – **بودج** Budge – **جورج جراف** Graf (1875-1955م) – **إيفيتس** Evvets – **تيتو أورلاندي** Tito Orlandi – **أزولد بورمستر** O.H.E. Burmester – **استيفن إميل** Steven Emil – **الأب أوجو زانتي** Ugo Zanetti، وغيرهم كثيرون.

- يُعدُّ المستشرق الألماني "**برجستر آسر** – Bergestrasser" أوَّل من ألَّف وحاضر في هذا الموضوع البكر. فقـــد ألقـــى مجموعة محاضرات قيِّمة في جامعة القاهرة سنة ١٩٣١م، ثمَّ طُبعت هذه المحاضرات بالعربيَّة في حـــوالي مائـــة صـــفحة، ونشرت سنة ١٩٦٩م، بعنوان: "أصول نقد النُّصوص ونشر الكُتُب".

- وفي الشَّرق، تنبَّه عُلماء الشَّرق إلى ضرورة إحياء هذا التُّراث، ورأوا أنَّ واجبهم يحدوهم إلى رعاية تـــراثهم بأنفســـهم. وكان "المجمع العلمي بدمشق" هو أوَّل المؤسَّسات الثَّقافية في الوطن العربي الذي قام بنشر قواعد خاصة بتحقيق التُّراث. وطُبعت هذه القواعد في مقدِّمة كتاب بعنوان: "تاريخ مدينة دمشق" وصدر سنة ١٩٥١م.

دُكتور عبد السَّلام هارون

- ومن أوائل من كَتَب في قواعد تحقيق المخطوطات في العالم العربي، "**الـــدُّكتور عبـــد السَّـــلام هارون**"[٣] حيث نشر سنة ١٩٥٤م، كتيباً علمياً دقيقاً (ثمانون صفحة تقريباً) بعنوان: "تحقيـــق النُّصوص ونشرها"، ثمَّ أعيدت طباعته سنة ١٩٦٥م، مع تنقيح طفيف.

- ولقد قطع المسلمون في الشَّرق شوطاً بعيداً في هذا المضمار، وتقدَّموا فيه تقدماً ملحوظاً، وأنشأوا معاهد مستقلَّة ومختصَّة بهذا الأمر عينه، وذلك قبل أن يتنبَّه إليه مسيحيُّو الشَّرق. مثل "معهد التُّراث العلمـــي بحلـــب" والذي استطاع أن يقتني ميكرو فيلماً يضُم كلَّ ما تمتلكه مكتبة المتحف البريطاني بلندن، من مخطوطات عربيَّة وفارســـيَّة وتركيَّة وأرمينيَّة. وأيضاً مثل "معهد المخطوطات العربيَّة، التَّابع للمنظمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم"، وهي إحـــدى منظمات جامعة الدُّوَل العربيَّة. كما تُعدُّ الدَّورات الثَّقافية التي يقيمها بيت السنَّاري بالقاهرة، وهو بيت العلوم والثَّقافـــة والفنون، التَّابع لمكتبة الإسكندريَّة، دورات على مستوى علمي متقدِّم[٤].

- لقد كان مع حلول نهاية القرن التَّاسع عشر وفي غضون القرن العشرين؛ أن ظهرت نهضة في محاولـــة جمـــع وفهرســـت المخطوطات، وكان من أشهر رواد هذا المجال، **الأب لويس شيخو اليسوعي** (١٨٥٩-١٩٢٨م) الذي قـــدَّم لنـــا ســـنة

وجمع منها ما وجده باقياً من المخطوطات، لتكون من نصيب مكتبة جامعتي لايبزج وكمبردج. في سنة ١٨٧٣م زار **شســـتر** Chester الأديـــرة الشَّرقيَّة والغربيَّة، ويذكر أنه فشل في الحصول على مخطوطات مكتبة دير أنبا مقار التي كانت موجودة في القصر، ذلك لأنه قبل زيارته بقليـــل، حضر أحد الفرنسيِّين ويُدعى **آم** Ame واستطاع تهريب معظم المخطوطات التي بالقصر ليلاً عبر سور الدَّير، وساعده في ذلك البدو المرافقون له.

ويُعدُّ المستشرق الألماني **بروكلمان** (١٨٦٨-١٩٥٦م) أعظم إنسان تتبَّع المخطوطات المعروفة في العالم، ودوَّنها في كتاب له من جزئين طبعهما سنة ١٨٩٨م، ثمَّ أتبعهما بملحقين سنة ١٩٣٧م. ثمَّ قام بتنقيح الكتابَين بين سنتي ١٩٤٣ – ١٩٤٩م. كما قام في ســـنة ١٩٤٢م بطبـــع كتـــاب: "تاريخ الحركة الفكريَّة في العصر الحديث".

وجاء المستشرق الألماني **فؤاد سيزكين** وتدارك ما نقص عند **بروكلمان** وذلك في كتاب له بعنوان: "تاريخ التُّراث العربي" في شتى مجـــالات المعرفة؛ القرآن والحديث، والشِّعر والأدب، والطِّب، والكيمياء والحيوانات والنَّبات، والرِّياضيَّات، والفَلَك ... الخ. وقد صدر منه تسعة أجـــزاء بالألمانيَّة سنة ١٩٧٧م، من أصل عشرين جزءاً. وقد ضمَّن الجزء الأوَّل من كتابه، قائمة بفهارس المكتبات ومجموعات المخطوطـــات في أربعـــين دولة، حيث وصف هويَّة كلِّ مخطوط وصفاً كاملاً.

٣- **الدُّكتور عبد السَّلام هارون** من مواليد مدينة الإسكندريَّة، وُلد في ١٨ يناير سنة ١٩٠٩م، ونشأ في بيت من بيوت العلم. وأتم دارســـته بدار العلوم العُليا، وتخرج فيها سنة ١٩٤٥م. وعمل مدرساً بكليَّة الآداب جامعة الإسكندريَّة. وفي سنة ١٩٥٠م عمل أستاذاً مساعداً بكُليَّـــة دار العلوم، ثمَّ أستاذاً ورئيساً لقسم النَّحو بها سنة ١٩٥٩م. وفي سنة ١٩٦٦م، اشترك في إنشاء جامعة الكويت، وتولَّى فيها رئاسة قسم اللُّغة العربيَّـــة وقسم الدِّراسات العُليا حتى سنة ١٩٧٥م. ثمَّ اختير عضواً بمجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة سنة ١٩٦٩م. ونال جائزة الملك فيصل العالميَّـــة في الأدب العربي سنة ١٩٨١م. وتوفى في ١٦ إبريل سنة ١٩٩٨م. وله قرابة ١١٥ كتاباً.

٤- حصلتُ على دورة تدريبيَّة في هذا البيت على مدى أسبوع خلال الفترة من ١٤-١٩ سبتمبر سنة ٢٠١٣م، ولمدَّة ٢٧ ساعة تدريبيَّة. وقد أعجبت أيما إعجاب بالمحاضرات التي سمعتها، ولاسيَّما للأستاذ **الدُّكتور أيمن فؤاد سيد**، أستاذ التَّاريخ الإسلامي بمعهد الدِّراســـات الإفريقيَّـــة، بجامعة القاهرة، ومدير مركز تحقيق النُّصوص بجامعة الأزهر، وغيره من الأساتذة الأفاضل التي قاموا بالتَّدريس في هذه الدَّورة التَّدريبيَّة.

١٩٢٤م، مرجعاً باللُّغة العربيَّة، بعنوان: ''كتالوج مخطوطات الكُتَّاب المسيحيِّين العرب'' أو باسم ''المخطوطات العربيَّة لكتبة النُّصرانيَّة'' يحوي أكثر من ١٠٠٠ مؤلِّف عربي مسيحي، في حوالي ٢٥٠ صفحة. وهناك أيضاً **الأب بولس سباط** (١٨٨٧-١٩٤٦م) من طائفة السِّريان الكاثوليك بحلب. ولقد تقدَّم علم تحقيق المخطوطات القبطيَّة على يد الرُّهبان الفرنسيسكان، في أوائل النِّصف الثَّاني من القرن العشرين، وقد تزعم هذا المجال ''المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات المسيحيَّة الشَّرقيَّة''. ومن أوائل المحقِّقين للمخطوطات فيه، **الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني**، والذي قام بتحقيق كتاب ''التَّرتيب الطَّقسي'' للبابا غُبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، ونشره في القاهرة سنة ١٩٦٤م، **والأب وديع أبو اللِّيف** الفرنسيسكاني. وباراهم في ذلك، الرُّهبان اليسوعيُّون (الجزويت) ومن أشهرهم **الأب سمير خليل اليسوعي**، الذي أسَّس في بيروت ''مركز التُّراث العربي المسيحي'' للتَّوثيق والبحث والنَّشر.

- وأمَّا عند الأقباط الأرثوذكس، فيُعدُّ **الأستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض** (١٨٦٧-١٩٥٥م) هو من أوائل من تنبَّهوا لأهمية إحياء التُّراث القبطي المحفوظ في المخطوطات، حيث نشر ''المجموع الصَّفوي'' لابن العسَّال سنة ١٩٠٨م. كما نشر أيضاً كتاباً عن القُدَّاس الإلهي في سنة ١٩٤٢م بعنوان: ''سرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت'' وهو لأحد عُلماء الكنيسة القبطيَّة في القرون الوُسطى، وذلك بعد تصحيحه على نسخ كانت طعمة للحريق. وأيضاً **الشَّماس كامل صالح نخله، والأستاذ يسَّى عبد المسيح** (١٨٩٨-١٩٥٩م). **والدُّكتور عزيز سوريال عطيَّة** (١٨٩٨-١٩٨٨م). **والأستاذ نبيه كامل داود** (١٩٣٧-٢٠١٠م). وتشهد الكنيسة القبطيَّة حاليًّا، وبدءاً من بواكير القرن الحادي والعشرين، نهضة لا بأس بها في هذا المضمار الجديد، ولكن بمجهودات فرديَّة، لا ترعاها الكنيسة القبطيَّة حتى اليَوم رعاية رسميَّة.
- وإنه من المؤسف، أنَّ الكنيسة القبطيَّة التي يمتدُ تاريخُها إلى ألفي سنة ميلاديَّة - ونحن الآن في نهاية سنة ٢٠١٤م - **ليس بها مركز علمي واحد لفهرست وتحقيق ونشر مخطوطات الكنيسة**، والتي أصبحت تغطي أرجاءَ الأرض كلِّها. **وليس بها مركز علمي واحد لترجمة ونشر كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة اليونانيَّة والقبطيَّة والعربيَّة**، لتكون متاحة باللُّغة العربيَّة الرَّصينة لأبناء الكنيسة. وإن كان الأمر كذلك، فيستحيل على الكنيسة أن تفكِّر مجرَّد التَّفكير في نهضة ليتورجيَّة حقيقيَّة. وكلُّ محاولة للمساس بالنُّصوص اللِّيتورجيَّة خارجاً عن الإطار السَّابق ذكره، سوف يُصعِّب على الأجيال القادمة مشقَّة الإصلاح، أكثر ممَّا هو عليه الآن من صعوبة.

(٢) الأساسيَّات في تحقيق المخطوطات

- علم تحقيق المخطوطات له قواعد راسخة، يلزم للمشتغلين به الإلمام الكامل بهذه القواعد. وهناك دورات فنيَّة راقية تُعقد بين الحين والآخر في القاهرة، أنصح بالالتحاق بها.
- تحقيق المخطوطات ونشرها، هو عمل مضني وشاق، لا يقوى عليه غير المقتنع بأهميَّته. وعلى المحقِّق أن يتَّصف بالصَّبر وطول الأناة إلى أبعد حد. وتحقيق المخطوطات يستلزم توافر أكثر من مخطوط للموضوع الواحد.
- إذا لم يكن المحقِّق محبًّا لتحقيق النُّصوص، شغوفاً بها، لن يتمكَّن من خدمة النَّص خدمة لائقة به.
- إن كانت ثقافة الباحث لازمة لصوغ بحثه، فإنَّ ثقافة المحقِّق ضرورية لإخراج التُّراث إلى النُّور، في صورة نصٍّ حيٍّ يُقدِّمه إلى القارئ.
- يلزم لمحقِّق المخطوطات، أن تتوفَّر عنده فهارس المكتبات التي تحتفظ بقوائم المخطوطات. ومن المعلوم أنَّ أكثرها في الغرب، والقليل منها في الشَّرق. كما أنَّ هناك مجلاَّت تعنى بتعريف المخطوطات، وهي تتعدَّى السَّبعين مجلَّة، ومن أهمِّها ''مجلَّة معهد المخطوطات'' التي تصدُر عن جامعة الدُّوَل العربيَّة بالقاهرة، ثمَّ الكويت. وأيضاً ''مجلَّة جمعيَّة الآثار القبطيَّة'' *(Bulletin de la Société d'archéologie copte(BSAC* التي تصدرها ''جمعيَّة الآثار القبطيَّة'' التَّابعة للمعهد العلمي الفرنسي للآثار الشَّرقيَّة (IFAO)، بالقاهرة.

- بعد عمليَّة مراجعة الفهارس، واكتشاف نُسَخ المخطوط، على المحقِّق أن يراسل هذه المكتبات، أو يزورها ليحصل على نسخة مصوَّرة منها، أو ميكرو فيلم لها. ثمَّ دراسة جميع النُّسَخ، لمعرفة أيِّ النُّسَخ هي الأصل، وأيُّها هي الفرع. والنُّسخة المكتوبة بخط المؤلِّف، تكون دائماً هي النُّسخة الأُم، إن كانت غير مشوَّهة أو ناقصة. ولكن هذا النَّوع من النُّسَخ قليل جدًّا. ولا تدخل النُّسخة غير المؤرَّخة في دائرة الأصول.

- النَّاسخ الأمين، ينقل كلَّ ما يلقاه في المخطوط بكلِّ إخلاص من غير زيادة أو إقحام أو حذف أو تعديل. وفي هذا السِّياق، قد أخذتُ على ناسخ مخطوط محفوظ في مكتبة أوبسالا Uppsala (السِّويد) وهو برقم (vet 12/ شرقي ٤٨٦) والمنسوخ في سنة ١٥٤٦م، أي في القرن السَّادس عشر، أنه حين قام بنساخة مخطوطه عن مخطوط قديم يعود إلى سنة ١٣٥٧م وهو كتاب: ''مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة'' لابن كَبَر، أنه لم يلتزم بما ينسخه عن النُّسخة الأصليَّة التي ينقل عنها، بل أضاف وحذف وعدَّل من عنديَّاته. وقد تيقَّنت من هذه المعلومة بعد بحث دام عدَّة سنوات. وإن عرفنا أنَّ أقدم مخطوط حالياً لكتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة – وهو برقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، والذي يعود إلى القرن الرَّابع عشر (١٣٦٣-١٣٦٩م) – تنقص منه ثماني ورقات عن طقس البَصخة المقدَّسة، وأنَّ مخطوط أوبسالا هو المخطوط الذي يليه في القِدَم، وأنَّ الفارق الزَّمني بين مخطوطي باريس وأوبسالا هو حوالي ١٧٧ سنة، نعرف مقدار الخسارة الأدبيَّة الجسيمة والتي لا يمكن تعويضها، والتي تعرَّضت لها دراسة تاريخ الطُّقوس القبطيَّة، من جرَّاء عدم التزام ناسخ مخطوط أوبسالا بما ينقل عن النُّسخة الأصليَّة التي تعود إلى سنة ١٣٥٧م، والمفقودة حاليًّا.

- يلزم أن يعرف المحقِّق أنَّ النَّسْخ في العُصور القديمة، أشبه بالمطابع اليَوم. وكان النَّاسخ يرتزق من هذه الحرفة، وقد يكسب منها أضعاف ما يكسبه المؤلِّف من كتابه. وهناك ناسخون مرموقون مُخلصون ثُقات، كما أنَّ هناك فئة مرتزِقة. وقد لاحظتُ في المخطوطات القبطيَّة، أنَّ النَّاسخ القبطي، كان يعتبر حرفته هذه، بمثابة وسيلة لغفران خطاياه، حين يطلُب من القارئين ذلك.

- قبل تحقيق المخطوط، يلزم التَّأكد أنه لم يسبق نشره نشرة علميَّة دقيقة. أمَّا إن كان قد نُشر بطريقة غير علميَّة، فلا مانع من إعادة نشره، وما أكثر هذه المخطوطات التي نشرت في الكنيسة القبطيَّة، بطريقة غير علميَّة.

- مراعاة تدوين أرقام الورقات بكلِّ دقَّة. والمخطوطات تُرقَّم بالورقات وليس بالصَّفحات. والتَّرقيم يذكر وجه الورقة وظهرها، حيث وجه الورقة يُرمز له بالحرف (أ) أو (ج) أو (r) من الكلمة اللاَّتينيَّة recto ، وظهر الورقة يُرمز له بالحرف (ب) أو (ظ) أو (v) من الكلمة اللاَّتينيَّة verso. وإن كان للمخطوط صورة على الكومبيوتر، يلزم أوَّلاً مراجعة المخطوط ورقة ورقة، وحذف المكرَّر منها، واكتشاف النَّاقص من ورقاته قبل التَّحقيق.

- أهم ما في المخطوط هو الكولوفون Colophon الخاص به، والموجود غالباً في الورقة الأخيرة منه، حيث نعرف منه اسم النَّاسخ، تاريخ نساخة المخطوط، ومكان نساخته، والمكتبة التي تحفظه حاليًّا، واسم المعتني به، أو الذي صرف عليه.

- يحتاج المحقِّق للمخطوطات إلى عدسة مكبِّرة أحياناً، ولا بأس أن تكون عدسة كهربائيَّة، لأنها تنشر دائرة كافية من الضَّوء لتزيد من وضوح الكلام.

- معرفة أنواع الخطوط[٥]، وتاريخ كلِّ خط، ضرورة حتميَّة للمحقِّق، لمعرفة تاريخ المخطوطة التي يقوم بدراستها، ولفك رموز بعض الكلمات الغامضة، إذ قد يضطر المحقِّق إلى تحقيق مخطوطة مفقودة التَّاريخ، أو ذات خط عسير. ولكن في نفس الوقت، لا يغيب عنَّا أنَّ لكلِّ قُطر خصائصه، ولكلِّ مؤلِّف خطّه وشخصيَّته. ومع تكرار التَّحقيق، تزداد خبرة المحقق.

- من أخطر ما يتعرَّض له علم تحقيق المخطوطات، هو جهل المحقِّق بفقه اللُّغة، وعلم الصَّرف والنَّحو. فكم من مخطوطات

٥- وهو ما تشرحه كُتُب: ''الفهرست'' **للنديم**. بعض ''رسائل إخوان **الصَّفا**''. ''صبح الأعشى'' **للقلقشندي**. ''تحفة أولى الألباب في صناعة الخط والكتاب''، **لعبد الرحمن بن يوسف**. ''تاريخ الخط العربي وآدابه''، **لمحمد بن طاهر الكردي**. وأشهر كتاب هو: ''أطلس خط''، وهو كتاب فارسي كتبه **حبيب الله فضائلي**، وهو يتكلَّم عن تطوُّر الخطوط الإسلاميَّة، وأوسع ما كُتب في هذا المجال، ويجري الآن ترجمته إلى اللُّغة العربيَّة بواسطة **الدُّكتور محمَّد التونجي**.

فقدت قيمتها العلميَّة، بسبب جهل من أقحم نفسه في هذا المجال بغير دراية. وأتعجبُ للغاية، حين أرى واحداً لا يُجيد اللُّغة العربيَّة إجادة تامة، ويُقحم نفسه في تحقيق مخطوط باللُّغة العربيَّة !!

- من العيوب الشَّائعة، أن يُدخل المحقِّق الحاشية التي ترد في المخطوط، إلى المتن، رغبة منه في التَّوضيح. أو يُبدِّل عنوان الكتاب الذي ينسخه، أو اسم المؤلِّف، لغرض تجاري بحت. أو يرى أنَّ من حقِّه التَّدخُّل في النَّص بما يراه نافعاً للكتاب. فالنَّص أمانة مقدَّسة في رقبة من يتعهَّد بإخراجه إلى النُّور. أمَّا إذا وَجد المحقق شيئاً يستوجب الإشارة، فيمكنه ذلك في حاشية الكتاب، ولكن ليس في المتن، لأنَّ المتن خاص بالمؤلِّف، أمَّا الحاشية فهي الميدان الحُر للمحقِّق والشَّارح. وإنَّ الإكثار من الشُّروحات والتَّعليقات على النَّص، ونقل ما في أيسر الكُتُب ولصقها في الحواشي، لا يُعد دليلاً على براعة المحقِّق. فهذا يُرهق القارئ. ومن ثمَّ، فليزم للتَّحقيق بعض الإشارات التَّوضيحيَّة اللاَّزمة، على أن تكون في غاية الإيجاز، مع الإكثار من استخدام الرُّموز والاختصارات للضَّغط على حجم الحواشي ما أمكن.
- الشَّيء الوحيد الذي يمكن للمحقِّق أن يضيفه على النَّص، هو كلمة ساقطة استطاع أن ينقلها من رواية أُخرى، ولكن يضعها بين قوسَين مثلاً. فكلُّ زيادة على النَّص من عند المحقِّق تُعدُّ إنقاصاً من مقام المؤلِّف، وتجاوزاً لحدود الأمانة، وتعدياً على حريَّة المؤلِّف.
- إنَّ كثيراً من عُلماء الغرب والشَّرق أيضاً، يهتمون بالحواشي، ويعتبرون استخدامها فناً وبراعة وفائدة جمَّة للقارئ.
- لا حاجة إلى ذكر اختلاف رسم الإملاء بين زمان المصنِّف وزمان المحقِّق، كالهمزة والشَّدَّة والتَّاء المربوطة. ولكن يكتفي بالإشارة إلى ذلك الأمر في المقدِّمة.
- لم يكن القُدماء يعتنون بتقسيم مصنفاتهم إلى فصول وأبواب، ووضع عناوين رئيسية أو جانبية. فلا بأس من هذا التَّرتيب ولكن بشرط الإشارة إلى ذلك في المقدِّمة، أو بوضع العناوين بين قوسَين كبيرين [ ].
- الفهارس العامة، هي عمل شاق ومضني. وتتطلَّب جلداً وصبراً. ولقد سبقنا المستشرقون في عمل الفهارس العلميَّة الدَّقيقة، فتفهَّم الشرقيُّون جدواها، فتبعوهم وقلَّدوهم. وتحقيق المخطوطة وحدة، لا يكفي ولا يجدي نفعاً، بدون صنع فهارس لها. فالاهتمام بالفهارس ترفع من القيمة العلميَّة للكتاب. وهناك فهارس الأعلام، وفهارس الآيات الكتابيَّة، وفهارس الموضوعات، وفهارس المفردات .. الخ. وقد أصبح الكومبيوتر مفيداً جدًّا في عمل هذه الفهارس.
- العناية بالمقدِّمة للمخطوط، حيث يتم التَّعريف بهويَّة المخطوطة وشخصيَّة المؤلِّف، وما يحيط بها من معلومات، وعصر المؤلِّف، ووصف المخطوطة، ومكان نساختها الأصلي، وعدد أوراقها، وعدد السُّطور في كلِّ ورقة، وعدد الكلمات في كلِّ سطر ... الخ.
- يستحسن أن يختم المحقِّق كتابه، ببعض ورقات مصوَّرة من المخطوطة، كنموذج، ولاسيَّما الورقة الأولى والأخيرة منها.

الرَّاهب القس أثناسيوس المقاري